أنماط الخبر في معلقة زهير بن أبي سُلمى: دراسة تركيبية دلالية

محمد مريخان سعد العجمي

مدرس، وزارة التربية، دولة الكويت

الملخّص

تَتَبَّعَ هذا البحث "أنماط الخبر في معلقة زهير بن سُلمى: دراسة تركيبية دلالية"، والجديدُ فيه دراسةُ الخبرِ النحويّ الإسناديّ في حقلِه الدلاليِّ بكونِه وحدةً تحتاجُ إلى تفسير، والكشفُ عن مدى إسهامِ العلاقاتِ النحويَّة في تحديدِ مدلولِ الخبر عند المُتكلِّم.

ويشمل هذا البحثُ مقدمة، فيها تعريفٌ بالموضوع، وأهدافه، وأسباب اختياره، والمنهج المعتمد في دراسة البحث، والمادة عينة الدراسة، ومعايير تحليل الدراسة، وتمهيد يعرضُ أهم الدراسات السابقة حول الموضوع، ثُمَّ الدراسة التحليليَّة، وتمَّ فيها حصرُ صُورِ الخبرِ في المادةِ عينةِ الدراسة، ودراسةُ كلِّ صورةٍ منفردةٍ بما يتلاءم مع أدوات البحث، وجمعُ الصورِ التي تندرجُ تحتَ النمط التركيبي الواحد.

وقد خلص البحث إلى أنَّ الخبرَ سارَ في أربع وظائف دلاليَّة؛ فكانت أولُ وظيفةٍ إظهارَ البوحِ والشوقِ والحنينِ بالإخبارِ عن الأماكنِ والأطلالِ والنساء، فالشاعرُ اتَّخذها رمزًا لبيانِ مشاعرِه، وثاني وظيفةٍ دلاليةٍ المدح عن طريقِ تعدُّدِ الخبرِ والإشارة إلى اقتداء الناس بأفعال الممدوح ووصف الأحداث، والوظيفة الدلالية الثالثة الإقناع والإيجاز بواسطة النفي والاستثناء، والوظيفة الرابعة الذم عن طريق وصف الأحداث.

المقدمة

يعالج هذا البحث أنماط الخبر في معلقة زهير بن أبي سُلمى: "دراسة تركيبية دلالية"، ويُقصدُ بأنماط الخبر صور الخبر المختلفة وعلاقتها في التركيب، والدور الذي يؤدِّيه الخبر في الجانب الدلاليِّ عند المتكلِّم، وهي مجموعة المعاني التي تحملُها صورةُ الخبر النحوية مع المباني المتضافرة في التركيب اللغوي، وبيان العلاقة بين الخبر وما يشير إليه من دلالات في معلقة زهير بن أبي سُلمى.

وأعني بالأنماط إفرادَ كلِّ نمطٍ بحسب شكله التركيبي أو ما يختص به من تفرُّده بظاهرة تركيبيَّة معيَّنة وما يشير إليه مِن وظيفةٍ دلاليَّة، ولذلك لن تقفَ الدراسةُ عند الخبرِ في صورتِهِ الإعرابيَّةِ أو التركيبيَّةِ المجرَّدة، ولن تقتصرَ على المُتكلِّم، بل تتجاوزه إلى المُتلقِّي وسياقِ الحال والمقام، وبذلك تصبحُ صورةُ الدلالةِ في أنماطِ الخبرِ أكثرَ وضوحاً، كما أنَّ شكلَ المركَّبِ النحويّ للخبرِ ينسجُ خيوطَ الدلالةِ مع التركيبِ الذي يكشفُ عن سرِّ العلاقاتِ التي تجمعُ المركبّاتِ النحويِّة، ويمكنُ تفسيرُ دلالةِ الخبرِ مِن ظلالِ المعاني المنبثقةِ من التركيبِ الذي يوضِّحُ الأبعادَ الدلاليَّةَ في نقلِ الخبر، فمثلا في قولهم: (قام زيدٌ) ولم يصدرْ منه قيامٌ فإنَّ ذلك يعني أنَّ حكمَ الخبرِ عليه بالقيامِ يُحتمَلُ أنْ يكونَ سخريةً منه، أو اتِّهامه، أو تحدِّيه إلى غيرِ ذلك مِن المعاني التي يحكمُها السياقُ اللغوي وغيرُ اللغوي والظروف الكلاميَّة.

وسوف يبدأ البحثُ بتعقُّبِ البناء النحوي متمثِّلاً في صورةِ الخبر، والعلاقات التي تربطه بأجزاء التركيب لتصبَّ في الحقل الدلاليّ، فهي علاقةُ المبنى بالمعنى التي تكشفُ عن المقاصدِ الدلاليَّةِ في نقلِ الخبر.

ولقد اختارت الدراسة علاقة الخبر النحويَّة بالمقاصدِ الدلاليَّة، ومِن ثَمَّ فإنَّ هذه الدراسة تحاول الوقوفَ على أمورٍ متعدِّدةٍ تمثِّلُ أهدافَها الرئيسةَ في البحثِ مِن خلال المادة المستهدفة للدراسةِ التركيبيَّةِ الدلاليَّة، وهي:

- رصد أنماط الخبر في المادة عينة الدراسة.
- الكشف عن دور البناء التجريدي للخبر في الدلالة.

- بيان التشابك بين البناء الصرفي والبناءِ النحوي الدلالي للخبر.
- توضيح دور الدلالة المعجميَّة المتفاعلة مع صورةِ الخبر.
- الكشف عن العلاقات النحويَّة في تفسير الخبر.
- رصد الدلالات المختلفة لوظيفة الخبر النحوية.

والجديدُ في الدراسةِ افتراضُها صورةَ الخبرِ النحويّ الإسناديّ وحدةً تحتاجُ إلى تفسيرٍ في حقلِها الدلاليّ، ومدى إسهامِ العلاقاتِ النحويَّة في تحديدِ مدلولِ الخبر عند المُتكلِّم، ولذلك تمتازُ الدراسةُ بكونِها اتَّخذتْ من وظيفةِ الخبرِ النحويةِ أبعاداً دلاليَّةً عميقةً تجلو الغموضَ عن الغرضِ من الأساليبِ الخبريَّة، وتُعينُ على الكشفِ عن مغزى المتكلِّم، وتأويلِ مرادِهِ بالخبر.

وتعتمدُ الدراسة في أساسها المنهجَ الوصفيَّ الاستقرائيَّ التحليليَّ؛ حيثُ يتمُّ تَـتَـبُّعُ وصفِ الخبرِ وتحليلِه من الناحية البنائيَّة والتركيبيَّة، ثم وصفُ علاقاتِ الخبرِ وتحليلُه في الجملة داخل القصيدة، ودراسةُ كلِّ صورةٍ في النمط الواحد للخبر في القصيدة، وذلك على افتراضٍ عكسيٍّ لا يمثِّلُ فيه الخبرُ نصّاً مستقلاً أو جملةً تركيبيَّةً مستقلة، ولكن على أساسِ ما يحملُهُ الخبرُ من معنىً بالنسبةِ للمتكلِّمِ والمُخاطَبِ بمعاونةِ القرائنِ التي تعينُ الباحثَ على رصدِ الدلالةِ في أنماط الخبرِ، كالسياق والقرائن الأخرى، ولذا فإن الدراسة تعتمد في أدواتها على قراءةٍ لغويَّةٍ من جهةِ التركيبِ والدلالةِ في القصيدةِ عينةِ الدراسة، ويمثِّـلُ الخبرُ مع علاقته بقصدِ المُتكلِّم محوراً للعمل المختار كلِّه.

وتقع الدراسة في مقدِّمةٍ تُمَـثِّـلُ الإطارَ العامَّ وفيها توضيح الموضوع وأهدافه وأسباب اختياره، والمنهج والأدوات التي يسيرُ على ضوئها البحث، ثُمَّ بيان المادة عينة الدراسة، ومعايير التحليل، وتمهيدٍ يعرضُ الدراسات السابقة للخبر، وبعدها الدراسة التحليليَّة لأنماط الخبر في معلقة زهير بن أبي سُلمى، فترصدُ صُورَ الخبر، وتعالجُ دلالات الخبر انطلاقاً من البنيةِ المعجميَّة ووصولاً إلى الدلالةِ التركيبيَّة، ووصف العلاقةِ بين وظيفةِ الخبرِ النحويَّة والمعنى، تتبعها نتائج البحث، ثُمَّ قائمة الهوامش والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

واختار الباحث لمعالجة موضوعه فترةً زمنيةً قديمةً تُمثِّلُ النضجَ الكاملَ لمستوى الفصاحةِ، فوقعَ الاختيارُ على الشعرِ الجاهليِّ لأنَّه يمثِّلُ الحقبةَ الزمنيَّةَ التي لم تختلطْ بها شوائبُ الأممِ الأخرى مِن العجمِ وغيرِهم، كما أنَّ تلك الفترةَ لها نظمٌ خاصٌّ، ومستوىً خطابيٌّ يعكسُ واقعَ الحياةِ التي يعيشونَها؛ لكونِ الشعرِ عندهم وسيلةَ إخبارٍ وإنباءٍ لما يجري لهم، وما تكتنزُهُ نفوسُهُم.

ونظراً لذلك فإنَّ دراسةَ بابِ الخبرِ كان جديراً بها الشعرُ الجاهليُّ الذي لم يكنْ لدى العرب وسيلةٌ أبلغ منها يتناقلونها فيما بينهم، كما أنَّ الاختيارَ وقعَ على شاعرٍ مِن شعراءِ الطبقةِ الأولى، ومِن شعراءِ المُعلَّقات؛ حيثُ كان شعرُهُ مليئاً بالحكمِ التي تناقلتها الألسنُ على مرِّ العصور.

ولعلَّ من الواجب الإشارة إلى الرواية التي اعتمدها البحث في دراسة معلقة زهير بن أبي سُلمى، وهي رواية الشيخ الإمام أحمد بن علي بن علي المعروف بابن السمين التي اعتمدها الخطيب التبريزي في شرح المعلقات، وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ المعلَّقات رُوِيَت بأكثر مِن رواية، وشُرحت شروحات كثيرة، ومنها الرواية التي اعتمدها الإمام الزوزني، وهي تختلف في بعض أبياتها عن رواية ابن السمين، وممّن شرحوا المعلقات ابن الأنباري في كتابه (شرح القصائد السبع الطوال)، ومِن المُتقدِّمين ممّن عُنِيَ بشرح ديوان زهير بن أبي سُلمى الإمام النحوي الكوفي أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (200 - 291 هـ)، وكانت المعلقة من قصائد الديوان التي شُرحت، ونظراً لذلك وجب التنبيه على الرواية المعتمدة في هذا البحث، وهي رواية ابن السمين التي شرحها التبريزي.

ويرتكزُ التحليلُ في البحث على خطواتٍ إجرائيَّة وفقاً لمعطيات مناهج التحليل اللغوي، فأوَّلها حصرُ الصورِ التي ورَدَ بها الخبرُ، ورصدها في القصيدةِ موضع الدراسة، وثانيها وصفٌ تحليليٌّ لكلِّ صورةٍ من صُورِ الخبر انطلاقاً مِن البنيةِ المعجميَّة إلى الصرفيةِ ثُمَّ إلى النحويَّةِ ثُمَّ إلى التركيبيَّة، وثالثها الاستفادةُ من العلاقاتِ النحويَّةِ في التركيب، والقرائن التي تعينُ الباحثَ على الكشفِ عن أبعاد الدلالة التي تحملُها صورةُ الخبر، وبذلك تكون معايير التحليل متمثِّلةً في أربعةِ أمور:

- حصر صُور الخبر في المادة عينة الدراسة.
- الوصف التحليلي لكلِّ صورةٍ على حِدة.
- بيان وظيفة الخبر النحويَّة والدلاليَّة.
- بيان فروق الدلالة بين صُورِ الخبر.

وهذه المعايير تنطلقُ مِن وظيفةِ اللغةِ الاجتماعيَّة الاتِّصاليَّة، بافتراضِ الخبرِ عاملاً مشتركاً بين المُرسِلِ والمستقبِل، ولا يمكنُ فكُّ طلاسمِ الأخبارِ إلّا بمعونةِ السياقِ والظروفِ المحيطةِ بالأطراف.

التمهيد

لم تعن دراسة سابقة – على حد اطِّلاعي- بتناول شرح أنماط الخبر في معلَّقة زهير بن أبي سُلمى، وشرحها الخاص فيما يدور حول الخبر في السياقِ التركيبيِّ الدلاليِّ في أبيات القصيدة؛ بحيث تدخل الدلالةُ بشكلٍ كبيرٍ في تحديدِ المُراد من الخبر.

ومفهومُ الخبرِ في التراثِ النحويِّ لم يكن بمنأى عن رصدِ الدلالةِ وتعقُّبِ أثرِها، ولكنَّ دراسةَ دلالةِ الخبرِ كانتْ في لمحاتٍ سريعة، وإشاراتٍ خاطفة، وعباراتٍ موجزةٍ، وجُمَلٍ متفرِّقة؛ فهذا إمامُ النحاةِ سيبويه يقولُ شارحاً علاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر: "هما ما لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر ولا يجدُ المتكلِّمُ منهما بدّاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: (عبد الله أخوك وهذا أخوك)"[1]. فهي علاقة ارتباط بين طرفين، وأمّا قوله: (الاسم المبتدأ والمبنيّ عليه) فهو يكشفُ نظرةَ سيبويه للخبر الذي يراه حكماً على الاسم المبتدأ، وبذلك يكون الخبرُ "هو المسند أو المخبر أو المحكوم به، وشرطُهُ أنْ يفيدَ شيئاً لم يفدْه المبتدأ، فإذا لم يختلف عن المبتدأ في الإفادة كان التركيبُ فاسداً"[2].

ولم تكن رؤيةُ الزمخشري بعيدةً عن سيبويه؛ حيثُ قال: "المبتدأ والخبر هما الاسمان المجرَّدان للإسناد نحو قولك: زيدٌ منطلقٌ، وكونهما مجرَّديْنِ للإسنادِ هو رافعهما؛ لأنَّه معنى قد تناولهما معاً تناولاً واحداً من حيثُ إنَّ الإسنادَ لا يتأتَّى بدون طرفين: مسندٍ ومسندٍ إليه"[3].

وابنُ جنّي يصفُ الخبرَ بصورةٍ مُجمَلَةٍ إذْ يقول: "وهو كلُّ ما أسندْتَهُ إلى المبتدأ، أو حدَّثتَ به عنه"[4]؛ فقد حصرَ الخبرَ بالعلاقة التي تربطُهُ بالمبتدأ، وفي قوله: (أو حدَّثتَ به عنه) إشارةٌ إلى الحكمِ على المبتدأ.

وبما أنَّ الخبرَ حكمٌ على المبتدأ جعلَهُ النحاةُ نكرةً في قولهم: "أصل المبتدأ أنْ يكونَ معرفةً وأصل الخبر أنْ يكونَ نكرة، وذلك لأنَّ الغرضَ مِن الإخباراتِ إفادةُ المُخاطَبِ ما ليس عنده وتنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه فإنْ أفاد جاز"[5].

ثُمَّ عالجَ النحاةُ قضايا الخبرِ في التركيب، كالتقديم والتأخير، والذكر، والحذف، وأقسام الخبر إلى مفردٍ وجملةٍ وشبه الجملة، وعلاقتِهِ بالمستوى الدلاليّ[6].

وهذا التحليل يجرُّنا إلى دراسة العلاقة بين البناء التركيبي للخبر في الجملة وبين المستوى الدلالي الذي يعنيه المتكلِّم، وتأثيره على المتلقِّي، والخبرُ في مفهومِه البلاغيِّ هو ما يحتمل الصدق أو الكذب[7]، وقد قسَّمَ البلاغيُّون الخبر إلى ثلاثة أضرُب: الخبر الابتدائي، والخبر الطلبي، والخبر الإنكاري[8]، ويُفرِّقُ العُكبريُّ بين الإسنادِ والإخبارِ بقوله: "الإسنادُ أعمُّ مِن الإخبار؛ إذْ كان يقع على الاستفهام والأمر وغيرهما، وليس الإخبارُ كذلك بل هو مخصوصٌ بما صحَّ أنْ يقابلَ بالتصديقِ والتكذيب، فكلُّ إخبارٍ إسناد، وليس كلُّ إسنادٍ إخباراً[9]، فهو يرى أنَّ الإسنادَ أعمُّ من الإخبار.

ويُعدُّ عبدُ القاهر الجرجانيُّ أبرزَ مَنْ كشفَ عن الفروقِ الدلاليَّةِ للخبر حيثُ قال: "ومِن فروقِ الإثباتِ أنَّك تقول: (زيدٌ منطلقٌ، وزيدٌ المنطلقُ، والمنطلقُ زيدٌ)، فيكون في كلِّ واحدٍ من هذه الأحوال غرضٌ خاصٌّ وفائدةٌ لا تكونُ في الباقي، وأنا أفسِّرُ لك ذلك، اعلم أنَّك إذا قلتَ: (زيدٌ منطلقٌ) كان كلامُك مع مَن لم يعلم أنَّ انطلاقاً كان لا مِن زيد، ولا مِن عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداء، وإذا قلتَ: (زيدٌ المنطلقُ) كان كلامُك مع مَن عرف أنَّ انطلاقاً كان إمّا مِن زيدٍ وإمّا مِن عمرو، فأنت تعلمه أنَّه كان مِن زيدٍ دون غيره[10]؛ فقد أشار الجرجانيُّ إلى دور المُتلقِّي في تشكيل صورةِ الخبر، ومدى معرفتِه.

والسكّاكي جمَعَ المسائلَ المتعلِّقة بالخبر في دراسةٍ دلاليةٍ عميقةٍ إذ يقول: "فأمّا السببُ في كونِ الخبرِ محتملاً للصدق أو الكذب، فهو إمكان تحقّق ذلك الحكم مع كلِّ واحدٍ منهما، من حيث إنَّه حكم مخبر، ومرجع كون الخبر مفيداً للمخاطب إلى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم، ويسمى هذا فائدة الخبر، كقولك: (زيدٌ عالمٌ) لمن ليس واقفاً على ذلك، أو استفادته

منه أنَّك تعلم ذلك، كقولك لمن حفظ التوراة: (قد حفظت التوراة)، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر، والأولى بدون هذه تمتنع، وهذه بدون الأولى لا تمتنع، كما هو حكم اللازم المجهول المساواة، ومرجع كونه صدقاً أو كذباً عند الجمهور إلى مطابقة ذلك الحكم للواقع، أو غير مطابقته له، وهو المتعارف بين الجمهور، وعليه التعويل"[11]، ويُلاحظُ من كلامِ السكّاكيِّ أنَّ الذي عليه المدارُ في دلالةِ الخبر هو المخاطبُ، وغرضُ المتكلِّم من الخبر؛ ولذلك تتعدَّدُ مستوياتُ الخبر، ويُضيفُ السكّاكي أموراً أخرى مرتبطةً بالخبر بقوله: "وإذا قد عرفتَ أنَّ الخبرَ قد يرجعُ إلى الحكمِ بمفهومٍ لمفهوم، وهو الذي نسمّيه الإسنادَ الخبريّ كقولنا: (شيء ثابت، شيء ليس ثابتاً)، فأنت في الأول تحكم بالثبوتِ للشيء، وفي الثاني باللاثبوتِ للشيء عرفتَ أنَّ فنون الاعتبارات الراجعة إلى الخبر لا تزيد على ثلاثة: فنٌّ يرجع إلى حكم، وفنٌّ يرجع إلى المحكوم وهو المسند إليه، وفنٌّ يرجع إلى المحكوم به وهو المسند"[12]، والظاهرُ من كلام السكّاكي أنَّهُ يحصرُ الأمورَ المرتبطةَ بالخبر في ثلاثة: الحكم الذي هو الخبر، والمتكلِّم، والمخاطَب.

ولم تكن العلاقةُ بين وظيفةِ الخبرِ النحويَّة والمعنى منفصلةً بل كانتْ علاقةً متَّصلة، فهي علاقةٌ وثيقةٌ كما عبَّر عن ذلك ابن مالك في ألفيته؛ حيثُ قال:

والخـبر الجـزءُ المتـمُّ الفائدهْ كـاللهُ بَرٌّ والأيـادِي شاهِدَهْ[13]

فهو الجزءُ الذي يكمّل دلالة الكلام، ويبيّن المقصود في الجملةِ الاسمية؛ لكونه أحد ركنيها، "وقيلَ في تعريفه: إنَّه الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة"[14].وفي العصر الحديث أخذت الدراسات الدلالية للنحو العربي منحى آخر يتمثَّل في دراسة النص بمختلف جوانبه، والانتقال به من طور الجملة إلى النص، بداءة من النص ذاته في سبك الكلام وحبكه، ومستعمل النص ومتلقيه، وسياق النص الذي ورد فيه، وقد أسهم الدكتور سعد مصلوح في وضع أسس تطبيقية لهذا المضمار، وذلك من خلال دراسةٍ تطبيقيةٍ على قصيدة المرقش الأصغر[15].

كما أفصح الدكتور حماسة عبد اللطيف عن العلاقة الوثيقة بين النحو والدلالة في كتابه (النحو والدلالة) الذي أرسى به ركائز العلاقة المتداخلة بين الدلالة والنحو، ويرى

أنَّ أسس العلاقة بينهما قائمة على اختيار الكلمة من بين المفردات المعجمية، وفاعلية المعنى النحوي في النص، والتفاعل بين هذه المفردات في إطار تشكيل الوظائف النحوية لها، وما بينها من علاقات نحوية للوصول إلى العنصر الدلالي[16].

ودراسة العلاقة بين النحو والدلالة هي دراسة العلاقة بين الشكل التركيبي والمعنى، وهو ما جعله الدكتور عبد السلام حامد عنواناً لدراسته (الشكل والدلالة)، وفيها قدَّم رؤيةً تحليليَّةً تعقَّبَ فيها أثر الإعراب ودلالة العلامة الإعرابية بصورها المختلفة، وأثر التغيرات التي تطرأ على الصيغ والمشتقات في الجانب الدلالي، والدور الذي تقوم به المبهمات (أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة... إلخ) في إطار الوظائف النحوية، وتحليل التراكيب الإسنادية والإضافية[17].

الدراسة التحليلية لأنماط الخبر

بدأ البحث من الخبر في صورته الصغرى أو ما يسمّى بالخبر المجرَّد من التوسيع في ترتيب أنماط الخبر ابتداءً من الخبر المُجرَّد مِن مُوسِّعات الجملة ثُمَّ الخبر المُوسَّع بعناصر التوسيع، حتى ينتهي النمط الأخير بالخبر المُوسَّع بكلِّ عناصر التوسيع، وقد تنوعت صور الخبر (مفرد، وشبه جملة، وجملة)، كما تنوعت عناصر التوسيع من النواسخ الحرفية والفعلية، والتوابع بأنواعها، والحال، والنفي إلى غير ذلك ممّا استعانت به العربية في نسج أبنيتها وتركيبها.

النمط الأول: الخبر المُجرَّد

الصورة الأولى: المبتدأ معرف بـ"أل" التعريف + الخبر شبه جملة

قال الشاعر:

بهـا العِـينُ والأَرْآمُ يمشيـنَ خِلفَةً وأطلاؤُهايَـنهَضْـنَ مِن كـلِّ مَجثِـمِ[18]

يتحدَّثُ زهيرٌ في هذا البيت عن مكان المحبوبة بالجملة الاسمية التي خبرُها شبه جملة بعد أنْ ذكرَ الأطلال والديار التي ألهبتْ مشاعرَه وأحاسيسَه في الأبيات التي سبقت هذا البيت، وفي هذا البيتِ يسيرُ منحى الإخبارِ في دائرةِ الأماكنِ التي هيَّجتْ الشاعر، حيثُ كانت الحياةُ قبلَ الحربِ – كما يبدو من استعمالِهِ ضميرَ الغيبة (الهاء) – في بهاءٍ

وجمالٍ يتجدَّدُ باستمرارٍ كما دلَّ على ذلك الفعلُ المضارعُ في جملةِ الحالِ الفعليَّة (يمشين) فضلاً عن كونِ الحالِ المفردِ في دلالتِهِ المعجميَّة (خِلفةً) يشير إلى المعنى ذاته، "معناه إذا مضى فوجٌ جاء آخر، وأصله إذا ذهب شيءٌ خَلَفَ مكانه شيءٌ آخر"[19]، ويُجسِّدُ هذا التجدُّدَ والاستمرارَ مشيُ الظباءِ؛ لأنَّ البقرَ والظباءَ كانتْ في حركةٍ مستمرَّةٍ على اختلافِ حركتها، فهذه مُقبِلَةٌ وهذه مُدبِرَة[20]، "أي يخلفُ بعضُها بعضاً إذا مضى قطيعٌ منها جاء قطيعٌ آخر"[21]، ويربط الشاعرُ بين الحركةِ المُستمرَّةِ التي عمَّتْ حياتَهُ التَّليدةَ في العطف (وأطلاؤها ينهضن) التي شملتْ جميعِ الأماكن التي يعيشونَ بها، ويتنقَّلونَ منها وإليها بدلالةِ لفظِ (كل) الدالِّ على العموم[22]، في قوله: (مِن كلِّ مجثِم)، والمجثم هو "الموضع الذي يُجثم فيه، أي: يُقامُ فيه"[23]، ثُمَّ يأتي البيتُ الذي بعدَهُ كاشفاً عن دلالاتِ الخبرِ السابقِ حيثُ يقول:

وقـفْـتُ بها مِن بعدِ عشريـنَ حِجَّـةً فأياً عـرفـتُ الـدارَ بعـد تـوَهُّـمِ[24]

فقد كان الخبرُ السابقُ عند الشاعرِ وصفاً لذكرى جميلةٍ يُسلِّي بها نفسَهُ بعد مرورِ السنينِ العجافِ على ديارِ الأحبَّة، وهذا الخبرُ تَبِعَه بَوْحٌ نفسيٌّ يتكلَّمُ فيه الشاعرُ عن زفرةِ حنينٍ دلَّ عليها ضميرُ المُتكلِّم (تاء الفاعل) في الجملة الفعلية (وقفتُ)، ثمَّ يصرِّحُ بالمكان (الدار) التي رآها وعرفها بعد الظنِّ والتخمين؛ لأنَّهُ عندما تذكَّرَ رسْمَ الدارِ استرجعَ ذكرياتِ الزمنِ الجميلِ، وأماكنِ التنقُّلِ والترحالِ.

ويتَّضحُ دورُ المكانِ عند الشاعرِ في الخبر شبه الجملة (بها)؛ نظراً لكون العنصر الدلاليِّ للخبر يسيرُ على منحى الكشفِ عن رمزيَّةِ المكانِ إلى المحبوبة التي كان المكانُ فيها يضجُّ بالحياةِ الجميلة، فالعينُ في هذه الأماكن التي يحنُّ إليها، والجملةُ المعطوفة عليها (وأطلاؤها ينهضنَ) تصوِّرُ الهدوءَ الذي كان يعمُّ المكان، ولذلك أخَّرَ المبتدأ (العين) على الرغمِ مِن كونِهِ معرَّفاً بـ(أل)، وقدَّمَ الخبرَ شبه الجملة (بها)، وفي ذلك تخصيصٌ للمكان، "والمقصود بالاختصاص أن يكون المجرور صالحاً لأن يكون مبتدأ"[25]، وبذلك يصحُّ تقدير الكلام: الديار بها العين، ويظهرُ هنا تأثيرُ موسِّعات المبتدأ في التوجيه الدلاليِّ للخبر (والأرآم يمشين خلفة، وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم) في بيان الحياة التي تنبضُ بالحركة كما مرَّ ذكره سالفاً.

الصورة الثانية: المبتدأ نكرة + الخبر مقدَّم شبه جملة

ويستمرُّ الشاعرُ في السير على النمط الدلاليّ نفسِهِ في سردِ الخبرِ إذْ يقول:

وفيـهنَّ مـلهىً لِلَّـطيـفِ، ومـنـظرٌ أنِـيـقٌ لِعَـينِ النّـاظِرِ المُتَـوَسِّـمِ[26]

حيـثُ جـاء الخبرُ مقدَّماً لوقوعه شـبهَ جملة (فيهـنَّ)، ووقوعِ المبتدأ نكرةً (ملهـى)، ولو قارنّا بين التقديم في قولِ الشـاعر: (وفيهنَّ ملهى) وبين قولِ الشـاعرِ السـابق: (بها العِين) لاتَّضحَ أنَّ المبتـدأَ مختلِفٌ في الجملتين؛ فالمبتدأُ في هذه الجملـةِ وصفٌ نكرةٌ (ملهى)، وفي الجملة التي سـبقتها معرفـةٌ معرَّفٌ بــ(أل) التعريف (العِـين)، وفي هذا الاختلافِ يقولُ السـامرائي عن المبتدأ: "إذا كان نكرةً ليس له مسوِّغٌ في الابتداءِ وجب تقديمُ الخبرِ الظرفِ أو الجارِّ والمجرورِ فتقول: (في الدارِ رجل) فتقديمُ الخبرِ هنا واجب، وليس لأمرٍ بلاغي، ولا يسأل عن الغرض من هذا التقديم، وإنَّما يسـأل عن سـبب تقديمه، إلا إذا كان المبتدأُ صالحاً لأنْ يبتدئَ به نحو: (في الدار أخوك)"[27].

وتقديم الخبر شبه الجملة في قوله: (بها العِين) – على الرغمِ من مجيءِ المبتدأ مُعرَّفاً بـ(أل) التعريف – يكشفُ عن اعتناء الشاعر بالمكان، حيثُ أرادَ التعبيرَ عن صفْوِ الحياةِ في هذا المكانِ قبلَ عبثِ الحروبِ بها بدلالة مجيء المبتدأ مُعرَّفاً بـ(أل) الجنسية؛ فجنسُ العِينِ كان يعيشُ في هذا المكان بسكينةٍ وهدوء، وصورةُ الخبرِ في البناء النحوي فيها رسالةٌ تعبيريَّةٌ مغلَّفَةٌ بالنصحِ إلى الملأ من ويلاتِ الحروبِ التي أكلت الأخضرَ واليابسَ عن طريقِ تصويرِ مشهدٍ يبيِّنُ الفارقَ بين صورةِ المكانِ قبلَ الحربِ وبعدَ الحرب، والكلامُ نفسُهُ ينطبقُ على الخبرِ في الجملةِ الأخرى (وفيهنَّ ملهى)، ويدلُّ على ذلك تكرارُ صورةِ الخبرِ الذي جاءَ شبهَ جملةٍ مرَّتين، وفي المرَّتينِ يشيرُ بهما إلى الجمالِ الحسِّي (بها) و(وفيهنَّ)، والمبتدآن اللَّذانِ عبَّرا عن جمالِ الطبيعةِ والحياةِ هما (العِين، وملهى).

وقد أسندَ الشاعرُ الخبرَ (فيهنَّ) إلى المبتدأ (ملهى) الذي جاء نكرةً؛ ليدلَّ على عمومِ اللهوِ واختلافِ صُورِهِ وأشكالِهِ، فهذا اللَّهوُ الذي يخبرُ عنه الشاعرُ بشبهِ الجملةِ (فيهنَّ) الدالَّةِ على الظرفيةِ المكانيَّةِ يراه كائناً عندهنَّ، وباعثاً إلى السرور، فالإنسانُ الذي يبحثُ عن أيِّ لهوٍ ومَرَحٍ سيجدُهُ مع هؤلاءِ النسوةِ اللاتي يَعِشْنَ في هذا المكان، والناسُ بطبيعتِهم تختلفُ دوافعُ السرورِ لديهم، ولكنَّ الإنسانَ الذي لم تغيِّرْهُ همجيَّةُ الحروبِ وغلظتُها سيجدُ

ملهىً في هذا المكان مع هؤلاءِ النسوةِ بدلالةِ التقييدِ بشبه الجملةِ (للطيف، ومنظرٌ أنيقٌ لعينِ الناظرِ المتوسِّم)؛ لأنَّ اللطيفَ: "هو المتلطِّفُ الذي ليس معه جفاءٌ، وغلظة"[28]، وبذلك يكتسبُ الخبرُ مدلولاً عميقاً فيه تعبيرٌ عن الخَلجاتِ التي في النفس، ودعوةٌ إلى الاستمتاع إلى ما في الطبيعةِ من جمال، والتنفيرُ من الحروبِ التي تجعلُ القلوبَ قاسيةً لا ترى الجمالَ في هذا الوجود، ولا تشعرُ به.

النمط الثاني: الخبر المُوسَّع بالنعوت

المبتدأ محذوف + الخبر نكرة + نعوت الخبر

قال الشاعر:

ديـــارٌ لهـا بـالـرقـمـتـينِ، كأنَّها مراجِيعُ وَشْمٍ في نواشِرِ مِعْصَم[29]

وقد افتتحَ الشاعرُ هذا البيتَ بالخبر (ديارٌ) الذي حُذِفَ مبتدؤُهُ، ليصبحَ التقدير: (هي ديـارٌ)، وهي رواية شرح التبريزي؛ لأنَّ الرواية الأخرى التي نقلها الزوزني في شرحه (ودارٌ لها)، والخبر (ديار) جمع تكسير لكلمة (دار) الدالة على المكان، وقد ذكر الشاعرُ الخبرَ بعد أنْ عدَّدَ أماكنَ محبوبتِهِ التي هيَّجتْ أشجانَهُ في البيت الأوَّل حيثُ قال:

أَمِنْ أُمِّ أوفَى دِمْنـةٌ لم تكـلَّـمِ بِحَومانةِ الـدُّرّاجِ، فالمُتَثَلَّمِ؟[30]

ويظهرُ العنصرُ الدلاليُّ للخبر مرتبطاً بجملةِ الاستفهام (أمِن أم أوفى...) التي توجه عنايةَ المتلقِّي بالخبر (ديار)، وقوله: (حومانة الدرّاج) و(المتثلَّم) مواضعُ لأماكنَ لها ذكرى في مخيِّلةِ الشاعر[31]، وقد جاء الخبر حاملاً مضمونَ هذه الأماكن (ديار) مُفصِّلاً سببَ ذكرها بقوله: (لها بالرقمتين)، فالديار لهذه المحبوبة، ولذلك جاء التقييد بالجار والمجرور (لها)؛ لأنَّ الحديثَ كلَّهُ منصبٌّ عليها، والعقلُ والفؤادُ مشغولان بها، فأراد أنْ يجعلَ ملكيَّةَ هذه الأماكن لها بدلالةِ حرفِ الجرِّ (اللام) الذي أفاد الملكيَّة[32]، ثمَّ خصَّصَ هذه الأماكن بكلمة (الرقمتين) وهما موضعان أيضاً كما ذكر الأصمعي: أحدهما قرب المدينة، والآخر قرب البصرة[33]، ثُمَّ أردفَ الشاعرُ الخبرَ (ديار) بجملة النعتِ الاسميَّةِ المنسوخةِ المصدَّرةِ بأداة التشبيه (كأنَّها مراجيعُ وشمٍ في نواشر معصم)، فهو يبيِّنُ بقاءَ أثرِ هذه الديارِ في نفسه؛ لأنَّ رَسْمَها مازال منقوشاً في خيالِه لا يستطيعُ أنْ ينفكَّ عنه، وقوله: (مراجيع وشم)؛ "أي معاطف؛ أي رجّع

الوشم وأعيد، وكلَّما رجّعت شيئاً فقد رددته، يقال: فلانٌ يرجّع صوته بالقرآن وغيره، فشبَّه وشوم الديار؛ أي الآثار التي فيها بمراجع الوشم"[34]، ويقول أبوالعباس في ذلك: "شبَّه آثار الديار بوشمٍ ترجِّعه أي تردِّده حتى يثبت في كفِّها"[35]، كما كشفتْ عن ذلك الدلالةُ المعجميَّة لكلمة (وشم)، وهو ما تجعله المرأة على يدها بالإبرة[36]؛ ليبقى أثرُه، فهي علامةٌ شامخةٌ على مرِّ العصورِ تثيرُ عواطفَ الشاعر، وربَّما هذا الذي جعلَ الشاعرَ يشبِّهُ الدارَ والطَّلَلَ بالوشم، "فقد آمنَ القدماءُ بقدرةِ الوشمِ على حمايتِهم مِن أمور، وآمنوا أيضاً بتأثيرِهِ على علاقاتِهم الجنسيَّة؛ ممّا دفعَ الرجالَ والنساءَ على التمسُّكِ به، وقد بقي هذا الاعتقادُ بقدراتِ الوشمِ محفوظاً في النفوسِ البشريَّةِ عبر اللاشعور الجمعي لينتقلَ مِن جيلٍ إلى جيل"[37].

وتتكثَّفُ الدلالةُ مع كثرةِ نعوتِ الخبر، ليصبحَ أكثرَ تحديداً؛ حيثُ يتعلَّقُ الوصفُ بالنكرة (ديار) ليزيدَها تعريفاً وتخصيصاً، فالأماكنُ التي ذكرها الشاعرُ (حومانة الدرّاج، والمتثلَّم) زادتْ وضوحاً مع قيودِ الخبر (ديار لها بالرقمتين كأنَّها....)، وبقيودِ الصفةِ تتكثَّفُ دلالةُ النكرةِ (ديار) التي كشفتْ عن الغرضِ مِن الإخبار، فهو يراوحُ في الدلالةِ التركيبيَّةِ بين الحنينِ والبوحِ عمّا يختلجُ في داخلِهِ من مشاعرَ تجاه أمِّ أوفى.

وعند النظر إلى الخبر في مستواه التركيبي والدلاليِّ يظهر على النحو الآتي:

- بدأَ الشاعرُ الكلامَ بالاستفهامِ الذي دلَّ على التحسُّر: (أمن أمِّ أوفى دمنة لم تكلَّم)، وصرَّحَ فيه بكنيةِ المحبوبة (أم أوفى).
- ثُمَّ جاء تخصيصُ الاستفهامِ بالأماكن: (بحومانة الدُّرّاج فالمُتثلَّم) التي التصقت بأمِّ أوفى.
- ثُمَّ التحوُّل والانتقالُ من جملة الإنشاء (الاستفهام) إلى جملة الخبر (ديارٌ لها بالرقمتين)، وهذا الانتقالِ فيه إخبارٌ عن الأماكن التي ذكَّرتْهُ بها، ورَدٌّ على مَنْ يجهلُ أمَّ أوفى، ولا يعرفُها أو يلومُهُ في التعلُّقِ بها، فكأنَّ الشاعرَ يردُّ على مَنْ يلومُهُ في حُبِّها والتعلُّقِ بها، فكانَ الإخبارُ تعليلاً للأماكنِ التي ذكرها.
- وكان الخطابُ بضميرِ الغيبةِ كما جاء في متعلِّقات الخبر (ديارٌ لها، كأنها..)، وفي ذلك إيحاءٌ بالغيابِ والبعدِ المكانيِّ الذي يلازمُ حنينَ الشاعر.

- والمبتدأ هنا محذوفٌ في الجملةِ الاسمية، والخبرُ اسم دالٌّ على المكان (ديار)، فلم يأتِ بالمبتدأ هنا لحُسْنِ حذفِهِ في هذا الموضعِ كما أخبرَ عن ذلك الجرجانيُّ حيثُ قال: "ومِن المواضعِ التي يطَّردُ فيها حذْفُ المبتدأ القطعُ والاستئناف، يبدؤون بذكرِ الرجلِ ويقدِّمونَ بعضَ أمرِهِ ثُمَّ يَدَعونَ الكلامَ الأولَ ويستأنِفونَ كلاماً آخرَ، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثرِ الأمرِ بخبرٍ مِن غيرِ مبتدأ، مثال ذلك قوله:

وعَـلِـمْـتُ أنِّي يـومَ ذا ... كَ مُـنـازِلٌ كَـعْـبـاً ونَهْـدا
قَـوْمٌ إذا لَـبِـسُـوا الحَـدِيـ ... ـدَ تَنَمَّـرُوا حَـلَقاً وقِـدَّا[38]

ومِن لطيفِ الحذفِ قولُ بكر بن النطّاح:

الـعَـيْنُ تُـبْـدِي الحُـبَّ والبُغْضَا ... وتُـظْـهِـرُ الإبْـرامَ والنَّقْـضَـا
دُرَّةُ، مـا أنْصَفْتني في الهَـوَى ... ولا رَحِمْـتِ الجَـسَـدَ المُـنـضى
غَضْبـى، ولا واللهِ يا أهـلـها ... لا أَطْـعَـمُ الـبـارِدَ أو تَـرْضى[39]

وذلك أنَّ التقدير: هي غضبى، لا محالة إلّا أنَّك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف وكيف تأنس إلى إضماره، وترى الملاحةَ كيف تذهبُ إنْ أنت رميتَ التكلُّمَ به"[40]، والجرجاني يربطُ الحذفُ في هذه المواضعِ بالحالةِ النفسيَّةِ عند الشاعر، وشاعرُنا زهيرُ بن أبي سُلمى حذفَ المبتدأ ليربطَ الكلامَ ربطاً دلاليّاً، كما ألمحَ عن ذلك الجرجاني في قوله: "ربَّ حذفٍ هو قلادةُ الجيد، وقاعدةُ التجويد"[41]، فالحذفُ كقلادةِ الجيد في انتظامِ حبَّاتِها، وصورةُ الربطُ التي أسهمَ الحذفُ فيها تَمَثَّلَ في عنايةِ الشاعرِ بوصفِ أماكنِ المحبوبةِ التي أثارت الشجى بداخله، وكما قيل: الشجى يبعثُ الشجى، فذكرَ الشاعرُ تلك الأماكنَ ليأتي بعدها الخبرُ مُتَّصلاً بها (ديار)، ولعلَّ ذلك تفسيرُ قول الجرجاني: "إنَّكَ ترى نَصْبَةَ الكلامِ وهيئتَه تروم منك أنْ تنسى هذا المبتدأ أو تباعُدُه عن وهمك"[42]، فضلاً عن أنَّ الديارَ التي ذكَّرتْهُ بالأيامِ الجميلةِ كانتْ سببَ بوحِه.

ثمَّ يأتي تعلُّقُ الجارِّ والمجرورِ (لها) بالخبرِ (ديار)، والضميرُ (الهاء) عائدٌ على المحبوبة؛ لأنَّها الدافعُ في ذكرِ تلك الأماكن، ولولاها لم يذكرِ الشاعرُ هذه الأماكن، ثُمَّ يصفُ الشاعرُ الخبر (ديار) بالجملةِ الاسميَّةِ المنسوخةِ بالحرفِ (كأنَّ) الذي يفيد التشبيه[43]، (كأنَّها مراجيعُ وَشْمٍ)، والعلاقةُ بين الجملةِ المنسوخةِ والخبرِ علاقةُ إيضاحٍ وبيانٍ عمّا يختلجُ في النفس، فهو

يستأنسُ بطولِ الحديثِ عنها، فجاءت الجملةُ الاسميَّةُ موسَّعةً بالتشبيه، فكأنَّهُ يقول: إنَّ ذكري تلك الأماكن يُعيدُ إليَّ الصورَ التي نُقِشتْ في ذاكرتي، كما تُنقَشُ نواشرُ المعصمِ بالوشم.

ولقد اتَّخذَ الشاعرُ أسلوبَ الغائبِ في الإخبارِ عمّا يجولُ في خاطرِه، ولعلَّ القارئَ يتساءلُ: إلى مَنْ يوجِّهُ الشاعرُ كلامَه؟ ومَن المُخْبَرُ في الجملة الخبرية؟ والإجابةُ عن هذه التساؤلات تجرُّ القارئَ إلى تتبُّعِ التراكيبِ المجاورةِ للجملة الخبريَّة التي سُبقَتْ بجملةِ الإنشاءِ الطلبيِّ في صيغة الاستفهام (أمِنْ أمِّ أوفى دمنةٌ لم تكلَّم)، وانتقالُ الشاعرِ من الاستفهامِ إلى الإخبارِ بقولِهِ (ديار) يبعثُ أيضاً تساؤلاً عن سرِّ هذا الانتقال، فالشاعرُ عندما تألَّمَ ممّا أصابَ القومَ مِن ويلاتِ الحروبِ بين عبسٍ وذبيانَ، وما تركتْهُ من خرابٍ في الدِّيارِ تساءَلَ مُتفجِّعاً ومتحسِّراً في أسلوبٍ إنشائيٍّ بليغٍ يُصوِّرُ الحالةَ النَّفسيَّةَ التي أَلَمَّتْ به.

ومجيءُ الجملةِ الخبريَّةِ بعدها (ديارٌ لها بالرقمتين) يوجِبُ كلاماً قبلها؛ فالشاعرُ عندما عبَّرَ عن إحساسِهِ في الأسلوبِ الإنشائيِّ السابقِ كأنَّهُ يَرُدُّ على سائلٍ يَسألُ في كلامٍ محذوفٍ تقديرُهُ: (وما بِكَ يا زُهيرُ تَتَفجَّعُ وتتحسَّرُ على هذه الأماكنِ التي ذكرتَها؟) فأجابَ قائلاً:

ديـــارٌ لهـا بـالـرقـمـتـينِ، كـأنَّهـا مراجِيعُ وَشْـــمٍ في نـــواشِرِ مِعْصَم

ويكشفُ هذا التركيبُ عن تناسي المبتدأ والاعتناءِ بالخبرِ (ديار) الذي شَغَلَ جُلَّ تفكيرِ الشاعرِ، فهذه الديارُ فيها ذكرياتُهُ مع المحبوبةِ بدلالةِ التقييدِ بالجارِّ والمجرور (لها)، وتعليلٌ لذكره المواضع التي ذكرها قبل هذا البيت (حومانة الدرّاج، والمتثلّم)، وبذلك يكتسِبُ الخبرُ مستوىً دلاليّاً نفسيّاً عند الشاعر، فالخبر (ديار) رمزٌ للمحبوبةِ وذكرياتِهِ معها، فلولاها لم يأتِ لتلك الأماكنِ ذكرٌ في شعره، ولذلك أفادَ الإخبارُ هنا البوْحَ عمّا يختلجُ في النفس، والتعبيرَ عن الشعورِ والوجدانِ الذي كانَ ومازالَ وظيفةَ الشعرِ الأساسيَّة.

والذي يبدو من تفسير الجرجاني لحذف المبتدأ في المواضع التي سردها – مقارنةً مع بيتِ زهير بن أبي سلمى – ما يأتي:

قوله: "من المواضع التي يطَّردُ فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف"[44]، يشيرُ فيه إلى اقتطاع أسلوبٍ والانتقال إلى أسلوبٍ آخر، فكلُّ المواضعِ التي ذكرها فيها انتقالٌ من السردِ إلى الوصفِ الدقيق، فقول الشاعر:

اعـتـاد قـلْـبـكَ مـن ليلى عـوائِـدُهُ وهـاجَ أهـواءَكَ المسكونَةَ الطللُ
رَبْـعٌ قَـواءٌ أذاعَ المُـعْـصِراتُ به وكُـلُّ حـيرانَ سـادٍ مـاؤُهُ خَضِلُ[45]

فعندما سَرَدَ حكايةَ أشجانِهِ مع الطَّلَلِ الذي ذكَّرَهُ بليلى، انتقلَ في البيت الثاني إلى وصفٍ دقيقٍ لذاك الربع، وهي سمةٌ غالبةٌ، كما أخبر الجرجاني: "وهذه طريقةٌ مستمرَّةٌ لهم إذا ذكروا الديار والمنازل"[46]، والأمر نفسه كذلك في قول زهير: (ديار لها بالرقمتين).

حذفُ المبتدأ في المواضعِ السالفةِ يدلُّ على شرفِ المحذوفِ واعتناءِ المتكلِّم به، فقول الشاعر:

رَآنِي على ما بي عُمَيْلَةُ فاشْتَكَى إلى مـالِـهِ حَـالِي أَسَرَّ كما جَهَرْ
غُلامٌ رَمـاهُ اللهُ بالخَيْرِ مُقْـبِلاً لهُ سِيمِياءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ[47]

إشارة إلى علوِّ مكانِ الغلام في البيت الثاني، والاعتناء به عن طريقِ النعوتِ التي تبعت الخبر (رماه الله بالخير مقبلاً) و(له سيمياء لا تشق على بصر)، وكذلك الأمر نفسه في أبيات زهير، فقد نعت الخبر (ديار) بقوله: (كأنَّها مراجيع وشم في نواشر معصم).

القطع والاستئناف الذي أخبر عنه الجرجاني في حذف المبتدأ لا يلغي وحدة الفكرة، والدفقة الشعوريَّة الواحدة؛ لأنَّ الباعثَ النفسيَّ واحدٌ، فزهيرٌ شغلَتْ جلَّ تفكيرِهِ تلك الديار، وزادَ العمقُ الوجدانيُّ لديه عند رؤيتِها واستحضارِ ذكرياتِه فيها.

النمط الثالث: الخبر المُوسَّع بالحال

المبتدأ ضمير + الخبر جار ومجرور + حال شبه جملة

قال الشاعر:

بَكَرْنَ بُكُـوراً، واسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ، ووادِي الرَّسِّ كاليدِ في الفمِ[48]

الخبرُ في هذا البيت جارٌّ ومجرورٌ صدرُهُ حرفُ الجرّ (الكاف) الذي يفيد التشبيه، وتَوَسَّعَ الخبرُ بالحالِ شبه الجملة (في الفم)، ومضمونُ الخبرِ تصويرُ حركةِ النساء، والأماكن التي يسيرون إليها، ويصوِّرُ الخبر المُوسَّع بالحال (كاليدِ في الفم) نساء الحيّ؛ "أي: لا يُجاوزنَ هذا الوادي،

أي: لا يُخطئْنَهُ، كما لا تُجاوزُ اليدُ الفم"[49]، ومِن المعنى السابقِ للخبرِ بصيغة الغائبِ تتَّضِحُ دلالةُ الخبرِ على البوحِ النفسيِّ الذي يبوحُ به المُتكلِّمُ بعد غيابِ أحبابِه في الوصفِ الدقيقِ لحركةِ نساءِ الحيِّ اللائي عاشَ معهنَّ حياتَهُ قبلَ أنْ تفرِّقَ بينهم الحروبُ الطاحنة، وبذلك يكونُ الخبرُ مع حرف التشبيه (الكاف) قد أظهرَ حنينَ الشاعرِ إلى الماضي الجميلِ بتصويرِهِ المشاهدَ تصويراً حسِّيّاً يكشِفُ عن بقاءِ الأثرِ النفسيِّ الذي يشعرُ به، ويظهر جليّاً التفاعل في هذه الصورة بين الضمير (هنَّ) العائد على نساء الحيِّ الذي كانت معه أم أوفى، وبين وادي الرسِّ الذي كنَّ يقصدْنَه باستمرار؛ فقد أسهم الربط بالتبعيَّة (هنَّ ووادي الرسّ) في تلاحم أجزاء التركيب، لكونه وسيلةً من وسائل السبك والحبك[50]، من خلال رسم الأثر الذي يحاول الشاعر تقريبه في الخبر (كاليد في الفم)، فالمحبوبة ونساء الحي والمكان رمزٌ إلى الذكرى معهنَّ، فذلك كلُّه هو الفاعل المتصرِّف في أخبار الشاعر كما أفاد ذلك أيضاً عود الضمائر (ديارٌ لها)، (بها العين)، (نزلنَ به)، فهذه الاستمرارية المتصلة بين الضمائر هي جوهر حبك الكلام "التي نعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[51].

ومِن البيت السابق يتبيَّنُ خروجُ الخبرِ عن النظامِ التركيبيِّ؛ فقد جاء الخبرُ في دائرةِ التشبيه الذي وظَّفَهُ الشاعرُ في تجسيدِ المعنى حسيّاً، ولكنَّهُ يسيرُ في الحقل الدلاليِّ نفسِهِ في الرمزِ إلى الأماكنِ التي يسترجعُ فيها ذكرياتِهِ الجميلة.

النمط الرابع: الخبر المُوسَّع بالفعل الناسخ (أصبح)

أصبح + اسم أصبح ضمير + الخبر جملة فعلية فعلها مبني للمفعول

قال الشاعر:

وأصبحَ يُحدَى فيهمُ، مِن تلادِكُم مَغانِمُ شَتَّى، مِن إفالٍ، مُزَنَّمِ[52]

الفعل الناسخ (أصبح) هنا بمعنى (صار) أيضاً؛ ليكونَ المضمونُ متَّسِقاً في مُجمَلِه؛ حيثُ صارَ المالُ الذي يُساقُ "من كرمِ سعيكم الذي سعيتُم له"[53]، فكأنَّ هذا الأمرَ صارَ بفعلِ السيِّدَيْنِ اللَّذَيْنِ أنهيا الحرب حقيقةً، وواقعاً يراه الناسُ معاينَةً، والخبر (يُحدى) جملةٌ فعليَّةٌ فعلُها مضارعٌ مبنيٌّ للمفعول، واستعملَ الشاعرُ صيغة المبني للمفعول في جملة الخبر الفعلية

ليبيَّنَ أمراً جليّاً لا يخفى على أحد؛ فقد بلغَ الكرمُ مبلغاً عظيماً حتى صارَ الناسُ يُعطونَ نفائسَ أموالِهم، فأرادَ بصيغةِ بناءِ الفعلِ للمفعولِ أنْ يجعلَ هذا الأمرَ عرفاً وسُنَّةً سنَّها الحارثُ بنُ عوف، وهَرِمُ بنُ سِنان، وكأنَّهُ يريدُ مِن المُتلقِّي أنْ يعتني بالحدثِ الذي هو (العطاء النفيس)؛ لأنَّ الفاعلَ معروفٌ دلَّ عليه هذا الحدثُ العظيم، فكيف يجهلُ الناسُ مَن يعطي هذا العطاء، ودلَّ على ذلك قوله: (مُزنَّم) والتزنيم: "علامةٌ كانت تُجعَلُ على ضربٍ من الإبلِ كرام"[54]، ويَعضِدُ هذا المعنى قوله في البيت الذي يليه:

تُعَفَّى الكُلُومُ بالمِئِينَ، فأصبحتْ ... يُنَجِّمُها من ليس، فيها بمُجرِمِ[55]

والمعنى في البيت السابق: "تُمحى الثاراتُ بالمئين من الإبل، وأصبحت المئات المُتَّفق عليها يدفعها أقساطاً من هو بريءٌ من تبعتها، من هو بعيدٌ عن الجرم في هذه الحروبِ الطاحنة، فهو يريد أنَّ السيديْنِ اللَّذيْنِ يمدحهما قد تعهَّدا بدفع الديات، وقد وفيا بها تعهَّدا، وأدَّياها نجوماً متفرِّقة، وكذلك تُعطى الدّيات، وأصبحتْ بمعنى صارت"[56]، وخبر (أصبحت) جملةٌ فعليَّةٌ أيضاً (يُنجِّمُها) دلَّتْ على انشغال الإنسانِ العاقلِ بالبحثِ عن الإبلِ التي تحقنُ الدماء، وتُعطى إلى أهلِ القتيل، فأرادَ الشاعرُ بذلك أنْ يفرِّقَ بين صورتين، صورةِ الإنسانِ القاتلِ الذي يجرُّ الويلاتِ على المجتمع، ولا يعرفُ عواقبَ الأمور، وصورةِ الإنسانِ العاقلِ الذي يداوي الجروح، ويقضي حياتَهَ مستمراً بالعطاءِ وهو لم يشاركْ في هذه الحروبِ ولم يكنْ سبباً فيها.

من أجلِ ذلك جاءَ الخبرُ جملةً فعليَّة فعلها مضارعٌ في الموضعيْنِ السابقيْنِ (يُحدَى) و(ينجِّمها) ليدل على الاستمرار الذي قصدَهُ الشاعرُ في مدحِ السيِّدَيْنِ، فقد أصبحَتْ دِيةُ القتيلِ سُنَّةً مستمرَّةً سنَّها الحارثُ بن عوف وهرمُ بن سنان.

ويتَّضحُ ممّا سبقَ أنَّ الخبرَ أخذَ منحىً آخرَ عندما جاءَ في سياقِ المدح؛ حيثُ وردَ في صورةِ الفعلِ المضارع الدالِّ على الاستمرارِ في كنفِ الجملةِ الموسَّعةِ بالفعلِ الناقصِ (أصبح) الذي جاءَ بمعنى (صار)، وهنا ضربٌ آخرُ من ضروبِ دلالةِ الخبرِ الذي صوَّرَ المدحَ عن طريقِ وصفِ تبدُّلِ الأحوالِ إلى الأفضلِ بالإشارةِ إلى العملِ الذي صارَ عُرفاً يتوارثُهُ الناسُ بعدَهم بسببِ صنيعِهما.

النمط الخامس: الخبر المُوسَّع بالنفي والعطف

الصورة الأولى

لا النافية + المبتدأ مضاف + الخبر جملة فعلية فعلها مضارع + العطف

ويتابعُ الشاعرُ قصيدتَهُ واصفاً الحربَ في الأبيات الآتية:

متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً	**وتَـضْرَ إذا ضرَّيتُمُوها فتَضْرَمِ**
فتَعرُكْكُمُ عَـركَ الرَّحَى بِثِفالِها	**وتَلقَحْ كِشافاً ثُـمَّ تُنتَجْ فتُتئِمِ**
فتُنتَجْ لكمْ غِلمانَ أشـأمَ كُلُّهُم	**كأحمرِ عـــادٍ ثُمَّ تُرضِعْ فتَفطِمِ**
فتُغلِلْ لكم ما لا تُغِلُّ لأهلِها	**قُـرىً بالعراقِ مِن قفيزٍ ودِرهَـمِ**
لحيٍّ حِلالٍ يَعصِمُ الناسَ أمرُهُم	**إذا طَرَقتْ إحدى الليالي بِمُعظَمِ**
كرامٍ فلا ذو الضّغنِ يُـدرِكُ تَبْلَهُ	**لديهم، ولا الجاني عليهم بِمُسلَمِ**[57]

حيثُ جاء الخبرُ جملةً فعليةً فعلُها مضارع (يدرك) في الجملة الاسمية (فلا ذو الضّغن يدركُ تبله) بعد الحديثِ المُفصَّلِ عن نتائجِ الحربِ وأثرها على المجتمع، وذكرِ المُحصِّلةِ النهائيَّةِ لكل ما وصفَهُ الشاعرُ مِن عواقبِ الحربِ الوخيمة: (فتعرككم، فتنتج، ثم ترضع، فتفطم، فتغلل)، وبعد أنْ ذكر الأفعال السابقة التي وصَفَ بها أحوالَ القومِ المتحاربين فصَّلَ الكلامَ كلَّهُ بفاء التفريع[58]، فهي أفادتْ تفريعَ المفصَّلِ عن المجملِ بعد دخول السيِّدَيْنِ في إيقاف الحرب: (فلا ذو الضّغن يدركُ تبله)، فكأنَّه يقول: بعد أنْ عصفَت بكم هذه الحربُ لن يوقفها إلّا رجلانِ عظيمانِ، وبذلك لن يظفرَ صاحبُ الثأرِ بإدراكِ ثأرِهِ، وأخبر بالجملة الفعلية (يدركُ) عن المبتدأ (ذو الضّغن) بالفعل المضارع (يدرك) ليدلَّ على نفي استمرارِ الثائرِ بالبحثِ عن ثأره كما استمرَّتْ هذه الحربُ سنينَ طِوالاً، فالخبرُ يكشفُ العلاقةَ – بعد تَدخُّلِ السيِّدينِ الحارثِ وهرم بن سنان – بين استمرارِ الحربِ وبين استمرارِ البحثِ عن إدراك الثأر، فبعد أنْ طالت الحربُ وكَثُر القتلى، وزادَ عددُ أصحاب الثأر توقَّفَ كلُّ شيءٍ بفضلِ الرجليْنِ اللذيْنِ أدركا ديات القتلى، فلم يستمر البحثُ عن الثأرِ تلْوَ الثأر، وفي

النهايةِ لن يدركَ الثائرونَ ثأرَهم، ولذلك دلَّ الإخبارُ بالجملةِ الفعليَّةِ على المدح عن طريقِ الإقناعِ المنطقيّ، والعطفُ على الجملةِ الاسميَّةِ (ولا الجارمُ الجاني عليهم بمُسلمِ)، بدلالةِ النفي بـ(لا)، فقد نفى الشاعرُ السلوكَ الذي انتهجهُ الناسُ في القتلِ وإدراكِ الثأرِ بفضلِ الحارثِ بن عوف وهرم بن سنان.

وصورةُ الخبرِ في التركيبِ السابقِ اتَّسقَتْ مع الدلالةِ المقصودة، فقد جسَّدَ زمنُ الفعلِ المضارعِ الدالُّ على الاستمرارِ (يدرك تبله) وصْفَ ما تؤولُ إليه أحوالُ الناسِ بعد دخولِ السيِّدَيْنِ اللذينِ أنهيا تلك الحرب، فلم يستمرّ صاحبُ الثأرِ (ذو الضغن) في إدراكِ الثأر بدلالة حرف النفي (لا)، والإخبارُ بالجملةِ الفعليَّةِ (يدرك تبله) عن المبتدأ (ذو الضغن) الذي يحملُ الأحقادَ إشارةٌ إلى نتيجةٍ ومُحصِّلةٍ نهائيَّةٍ تحملُ غرضَ المدحِ الذي أرادهُ الشاعرُ بهذا التركيب.

الصورة الثانية

لا النافية+ المبتدأ ضمير+ الخبر جملة فعلية فعلها ماض+ العطف

قال الشاعر:

وكانَ طَوَى كَشحاً، على مُستكِنَّةٍ، فـلا هــو أبداهــا،ولمْيَتَقَــدَّمِ[59]

وهنا جاء الإخبارُ بالجملةِ الفعليةِ التي فعلُها ماضٍ في إطارِ الحديثِ عن حُصَيْنِ بنِ ضَمضَمِ، "وكان حُصَيْنٌ مِن بني مُرَّة، أبى أنْ يَدخلَ في صُلحِهِم، فلمَّا اجتمعوا للصُّلح شدَّ على رجلٍ منهم فقتلَه"[60]، ولذلك قال في البيت السابق لهذا البيت:

لَعَمري لَنِعمَ الحَيِّ، جَرَّ عليهِم، بما لا يُؤاتِيهِم،حُصَيْنُ بنُ ضَمضَمِ[61]

حيثُ تكرَّرَ النفي، ويُوجِبُ ابنُ هشامٍ تكرارَ (لا) إذا دخلت على جملةٍ اسميَّةٍ صدرُها معرفة[62]، وقد عَطفَ الشاعرُ النفيَ بـ(لم) على النفي بـ(لا)، ومِن قولِ زهيرٍ السابقِ استدلَّ المفسِّرون على مجيء (لا) بمعنى (لم) إذا دخلت على الفعل الماضي ولم يُقصد بها الدعاء، حيثُ وردَ ذلك في قوله تعالى:﴿ فَلَاصَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [63]، وقال القرطبي: "أي لم يصدِّقْ ولم

يصلّ، وقال الكسائي: (لا) بمعنى (لم) ولكنه يقرن بغيره. تقول العرب: لا عبد الله خارج ولا فلان، والعرب تقول: لا ذهب، أي لم يذهب، فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل؛ ومنه قول زهير:

فـلا هـو أبـــداها ولـم يـتـقـــدمِ"[64]

وبما أنَّ (لا) تأتي بمعنى (لم) فإنَّ العلَّةَ في مجيئها مكانَ (لا) التكرار، كما يبدو مِن قول الكسائي (ولكنَّه يقرن بغيره)، وتجدرُ الإشارةِ هنا إلى الحديثِ عن الجانبِ الدلاليِّ في تكرار النفي، فالآيةُ المذكورةُ سالفاً "إخبارٌ عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه، متولياً عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً"[65]، فالخطابُ القرآني فيه إخبارٌ عن أحوالِ الكافر الذي لا يتصدَّقُ ولا يُصلّي، وعلى الرغم من رأي جمهورِ المُتأوِّلينَ في نزولِ الآيةِ عن أبي جهل – كما ذكر ابنُ عطيَّة[66] – فهي وعيدٌ لكلِّ مَن يتَّصِفُ بذلك، بدلالةِ قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾[67]، ولعلَّ الجامعَ بين الفعليْنِ (صدَّقَ) و(صلّى) ما نقلَه الإمامُ الشوكانيُّ في تفسير الآية: "وقيل فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه"[68]، فالإيمانُ بالقلبِ والعملُ بالجوارحِ أمرانِ مرتبطان، والله أعلمُ بمرادِه، سبحانه.

وفي قول زهير السابق ارتباطٌ بين الفعليْنِ المنفيَّيْنِ (أبداها) و(يتقدَّم)، وكلاهما يدلُّ على العلن، فجاءَ النفيُ يبيِّنُ خلافَ ذلك، فهو أخفى نيَّةَ القتل، وعملَ على إخفائها فلم يتقدَّمْ لحظةَ اجتماعِ القوم، وكأنَّ تكرارَ النفيِ فيه ترابطٌ وثيقٌ بين الأحداث.

وممّا جاءَ فيه ترابطٌ في تكرارِ النفيِ قولُهُ تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [69]، فقد عطف النفي ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ على النفي ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾، "المقصود بيان معاقبة كل من الشمس والقمر في ترتب الإضاءة، وسلطانه على الاستقلال وكذلك اختلاف الليل والنهار فقيل: ولا الليل سابق النهار كناية عن سبق آيته آيته فحصل الدلالة على الاختلاف أيضاً إدماجاً؛ لأنها لا تنافي إرادة الحقيقة"[70]، ويظهرُ الترابطُ الوثيقُ في تكرارِ النفي الذي يصوِّرُ حسنَ تدبيرِ؛ الخالقِ – جلَّ شأنُهُ – في النظامِ الكونيِّ الذي يسيرُ وفقَ حسابٍ معلوم.

وبما أنَّ حرفَ النفي (لا) يحلُّ مكانَ الحرف (لم) تجدرُ الإشارة هنا إلى بيانِ الفروقِ الدلاليَّةِ بين (لا) و(لم) في مسألة العطف والتكرار كما يبدو في المثاليْنِ الآتييْن:

لا + فعل ماض + واو العطف + لا + فعل ماض.

لم + فعل مضارع + واو العطف + لم + فعل مضارع.

فالحرف (لم) حرف جزم ونفي وقلب[71]؛ أي: يقلب زمن الفعل المضارع إلى الماضي، بدلالة قوله – تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[72]، "اقتصر على ذكر الماضي فقال: (لَمْ يَلِدْ)؛ لأنه وَرَدَ جواباً عن قولهم ولد الله، والدليل عليه قوله – تعالى –: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[73]، فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم إنما قالوا ذلك في الماضي"[74]، وقد أشار السامرائي إلى معنىً دلاليٍّ آخر حيثُ قال: "إذا دخلت (لم) على المضارع دلَّ على انتفاءِ الحدثِ في المضيّ، ولكن بصيغةِ التجدُّدِ والاستمرار، فدخول (لم) يدلُّ على أنَّ الحدثَ لم يحصلْ في الماضي على تطاوُلِ المدةِ واستمرارها، قال – تعالى –: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[75]، وهو أمرٌ قد يتكرَّرُ ويتجدَّدُ حصولُه، فذكرتْ أنَّ ذلك لم يحصلْ فيما انقضى من عمرِها"[76]، ولذلك عطفَ الشاعرُ (لم يتقدَّم) على (لا هو أبداها)، فجمَعَ بينهما؛ لأنَّ القاتلَ لم يُبدِ نيَّةَ القتلِ في الماضي، ولم يتقدَّمْ لذلك الفعلِ على سبيلِ التجدُّدِ والاستمرار.

النمط السادس: الخبر المُوسَّع بالنفي والاستثناء

المبتدأ معرَّف بـ"أل" التعريف + الخبر موصول حرفي "ما"

قال الشاعر:

وما الحربُ إلّا ما علمْتُمْ، وذُقْتُمُ ... وما هُوَ عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ[77]

وبعد أنْ تكلَّمَ الشاعرُ عن الديارِ ووصَفَها قبل الحربِ ثُمَّ عرَّجَ على مدحِ الحارثِ بنِ عوف وهرمِ بنِ سنانِ اللَّذَيْنِ تحمَّلا دياتِ قتلى الحرب، وسَعَيا في الصلحِ بين قبيلتي عبس وذبيان، ونشرا السلام، انتقلَ إلى وصف الحربِ في البيتِ السابق، فافتَتحها بجملةِ الحصرِ (وما الحربُ إلّا ما علمْتُم)، والخبرُ في جملةِ الحصرِ الموصول الحرفيّ المشترك (ما)[78]، فكأنَّ الشاعرَ أرادَ أنْ

يبلُغَ غايتَهُ في وصفِ الحربِ عن طريقِ جملةِ الحصرِ التي أغنتْ عن الكلامِ الكثير، والوصفِ الطويل، فلمْ يقلْ: "إنَّ الحربَ لنْ تُبقِيَ على أحدٍ إذا امتدَّتْ، فقد دامتْ أربعينَ سنةً، وقُتِلَ فيها الكثيرُ من الناسِ، والزعماءُ، والفرسان، واشتركتْ فيها العديدُ من القبائل، ولم تُبقِ على أيِّ شيءٍ جميلٍ في الحياة....."، ولكنَّ الشاعرَ استبدلَ بذلك كلِّهِ جملةَ الحصرِ المعبِّرةَ عن المعاني الكثيرة، فكأنَّهُ أراد أنْ يقولَ لهم: "إنَّي لن أصِفَ لكم الحربَ، فهي التي رأيتموها أمام أعينكم، وهي التي أذاقتكم ويلاتها، ومآسيها، فقد قتِلَ الناسُ وأُحرقتْ الديارُ وماتتْ الطبيعةُ الجميلةُ التي كنّا نستمتِعُ ببهائها ورونقها"، وجملةُ الحصرِ تحكي معنى الحديث النبويِّ الشريف: "ليس الخبرُ كالمعاينة"[79]، فقد عاينوا هذه الحربَ ولم يقتصرْ وصفُها على السماع، ونتيجةً لذلك فإنَّ أبرزَ دلالاتِ الخبرِ الذي جاء موصولاً حرفيّاً (ما) في جملةِ الحصر (وما الحربُ إلاّ ما علمتُم، وذقتم) الإيجازُ والإقناعُ عن طريقِ استحضارِ المبتدأ في الذهن، والشعور به، (العلم، والتذوق)، وتوجيه الكلام بصيغة المُخاطب، والتحذير من عواقب الحرب الوخيمة؛ لأنه يرمي إلى تنفيرهم من الحرب، فكأنَّهُ يقول: "فإيّاكم أنْ تعودوا إلى مثلها"[80]، والخبرُ موصولٌ حرفيٌّ أبانتْ عنه صلتُهُ (علمتُم وذقتُم) التي جاءت بصيغةِ الأفعال الماضية، فالعلمُ بالحربِ وتَجَرُّعُ كأسِها مُتحقِّقٌ بدلالة زمن المُضيِّ، ولذلك كان الإخبارُ بالموصول الحرفيّ (ما) قد اكتسبَ ضرباً مِن ضُروبِ الدلالةِ المتمثِّلِ في اختصارِ الكلام، وكونه وسيلةً مِن وسائل الإقناع الذي كان غرضُه النصح، كما يتبيَّن ممّا سبق أنَّ الخبرَ عندما يكون موصولاً حرفيّاً (ما) في جملةِ الحصرِ فإنَّه يعطي صورةً مِن صُورِ الإيجازِ في الكلام.

النمط السابع: الخبر المُوسَّع بالفعل الناسخ (كان) وتفريغ الخبر

كان + اسمها ضمير مستتر + الخبر جملة فعلية فعلها ماض + تفريغ الخبر

قال الشاعر:

وكانَ طَوَى كَشحاً، على مُستكِنَّةٍ، فلا هـو أبداهـا، ولم يَتَقَـدَّمِ[81]

وهنا جاءت الجملة الفعلية (طوى) خبراً لـ(كان)، "قال أبو العباس: هذا بإضمار (قد)، والمعنى: وكان قد طوى كشحا؛ لأنَّ (كان) فعل ماض، فلا يُخبَرُ عنها إلا باسم، أو بما ضارع الاسم، وأيضاً فإنَّه لا يجوز: (كان زيدٌ قام)؛ لأنَّ قولك (زيدٌ قام) يغنيك عن (كان)"[82]،

ولكنَّ مجيءَ هذا التركيبِ في القرآنِ الكريمِ والكلامِ الفصيحِ يبطلُ رأيَ أبي العبّاس، ففي قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[83]، جاء الفعلُ الماضي (كُفر) خبراً لـ(كان)، ولم يُغنِ الفعلُ الماضي عن (كان)، ولا شكَّ في أنَّ مجيءَ (كان) فيه إشارةٌ إلى زمنٍ مقصود، كما أشار إلى ذلك الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: "ومن كان كفر، هو نوح فإن قومه كفروا به؛ أي لم يؤمنوا بأنه رسول وكان كفرهم به منذ جاءهم بالرسالة فلذلك أقحم هنا فعل كان؛ أي لمن كفر منذ زمان مضى، وحذف متعلق (كفر) لدلالة الكلام عليه، وتقديره: كفر به"[84]، فالإخبارُ بالفعلِ الماضي مع (كان) فيه إيذانٌ بالدلالةِ الزمنيَّة التي تقيِّدُ بدايةَ الماضي، وقول الشاعر: (وكان طوى كشحاً) "طوى: أراد أضمر وأخفى، وكان حُصينُ بنُ ضمضم قد أخفى نيته على الأخذ بثأر أخيه، ولم يظهر لأحدٍ شيئاً قبل إقدامِهِ على ما فعلَ حتى أمكنته الفرصة"[85]، ولذلك جاء الفعل (طوى) مع (كان)، وكلا الفعليْنِ حمل دلالةَ الزمنِ الماضي، ولذلك أصبحَ الماضي محدَّداً مع (كان)؛ فهو منذ مجيئه قد أضمرَ الثأرَ لأخيه، وهذا التحديدُ يريدُ به الشاعرُ الوصفَ الدقيقَ للأحداثِ التي يرويها.

النمط الثامن: الخبر المُوسَّع بالإضافة والحرف الناسخ (كأنَّ) والحال

كأنَّ + اسم كأنَّ مضاف + خبر كأنَّ مضاف + حال جملة فعلية

وقع الخبر هنا في دائرة الجملةِ المنسوخةِ المُصدَّرةِ بالحرف (كأنَّ) الدالِّ على التشبيه، حيثُ قال الشاعر:

كأنَّ فُتـــــاتَ العِهنِ في كلِّ منـزلٍ نَــزَلْـنَ بـه حَبُّ الفنــا، لم يُحَطَّمِ[86]

فقد شبَّهَ "ما تفتَّتَ من العهن الذي عُلِّقَ على الهودجِ، إذا نَزَلنَ منه منزلاً، بحبِّ الفنا، والفنا: شجرٌ ثمرُهُ حبٌّ أحمر"[87]، والخبرُ (حبُّ) جاء مضافا إلى (الفنا) الدالِّ على اسمِ ذات، واسمُ إنَّ أيضاً (فتُات) مضافٌ إلى (العهن) الدالِّ على اسمِ ذاتٍ أيضاً، ومن السمات الدلالية للإضافة المعنويَّة أنَّها "تفيد التعريف مع المعرفة"[88]، ولا سيَّما أنَّ الخبرَ جاء في دائرة التشبيه، وهذا النوع من الإسناد؛ أي إسناد الخبر إلى اسم الذات (حبّ الفنا) إسنادٌ معنويٌّ؛ "ففيه يُنسَبُ حكمٌ ما إلى الاسم من حيث هو اسمٌ يُرادُ به ذات معينة"[89]، وبهذه الصورة أرادَ الشاعرُ أنْ يُجسِّدَ المعنى الذي في مُخيِّلَتِهِ عن طريق التشبيه بالأداة (كأنَّ) حسِّيّاً، وزيادة الوصف بنقل أدقِّ

التفاصيل بجملة الحال المنفية (لم يحطم)، والإخبار عن أثرِ الأحبِّةِ في نفسِهِ، وبقائها في ذاكرتِهِ، إذْ دلَّ الخبرُ في هذا التركيب الذي جسَّدَهُ الوصفُ الدقيقُ على حسرةِ الشاعرِ التي كشفَ عنها ضميرُ الغيبة (الهاء)، وعمقِ الأسى والحزنِ عندما يرى أيَّ أثرٍ يذكِّرُهُ بالأهلِ والأحباب.

النمط التاسع: تعدُّد الخبر المُوسَّع بالفعل الناسخ (أصبح) والنعوت

أصبح + اسم أصبح ضمير + تعدد الخبر + نعوت شبه جملة

قال الشاعر:

فأصبَحتُما منهـا على خيرِ مَـوطِنٍ ... بعيـدَينِ فيها، من عُقُـوقٍ ومـأثَمِ

عظيمَينِ، في عُليـا مَعَـدٍّ، هُـديتُما ... ومَنْ يَستَبِحْ كنزاً مِن المجدِ يُعْظَمِ[90]

وهنا تعدَّدَ الخبرُ في هذه الصورة؛ لأنَّ الشاعرَ يخبرُ عن السيِّدَيْنِ اللَّذَيْنِ أنهيا الحربَ بالضمير المتَّصل (فأصبحتُما)، وكانتْ الأخبار نحوهما (على خيرِ موطنٍ) و(بعيدين) و(عظيمين)، فهي ثلاثةُ أخبارٍ جاءتْ كلُّها في سياق المدحِ والثناءِ عليهما، وقوله: (منها) "من الحرب، وقيل: من السلم"[91]، فالشاعرُ يريدُ بقوله: (بعيدين) أي: "مبرأين فيها من عقوقِ الأقاربِ والإثم بسببِ قطيعةِ الرَّحِمِ"[92]، ومعنى (أصبحتما) "صرتُما، وليس المرادُ التوقيتَ بالصُّبح"[93]، فكأنَّ حالَهما تغيَّرَ بعد فِعلِهم الكريمِ بدلالةِ الفعل (أصبح) الذي جاء بمعنى (صار)، وذلك بدلالة التقييد بالنعوت شبه الجملة (فيها) و(في عليا معد)، وأمّا تعدُّدُ الخبرِ فهو جائزٌ في كلام العرب، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾[94]، وجاء في قول الشاعر:

ومَن يـكُ ذا بـتٍّ فـهـذا بتِّـي ... مُـقيِّـظٌ مُـصيِّـفٌ مُـشتِّـي[95]

وأيضاً في قول الشاعر:

ينـامُ بإحـدى مُقْلَتَيْـهِ، ويَتَّقِـي ... بأُخـرى المَنايا؛ فهْوَ يَقْظـانُ نائمُ[96]

وقد أفصحَ عن ذلك ابنُ مالك في ألفيَّته:

وأَخْبَـرُوا باثـنـيـنِ أوبـأكـثـرا ... عن واحـدٍ كَـهُـمْ سـراةٌ شُـعـرا

وفي ذلك يقول ابنُ عقيل: "ذهب بعضهم إلى أنَّه لا يتعدَّدُ الخبرُ إلّا إذا كان (الخبران) في معنى واحد، فإنْ لم يكونا كذلك تعيَّن العطف، وزعمَ بعضُهم: أنَّه لا يتعدَّد الخبر إلا إذا كان من جنس واحد، كأن يكون الخبران مثلاً مفردين، نحو: (زيدٌ قائمٌ ضاحكٌ) أو جملتين، نحو: (زيدٌ قامَ ضحكَ)، فأمّا إذا كان أحدهما مفرداً والآخر جملة، فلا يجوز ذلك؛ فلا تقول: (زيدٌ قائمٌ ضحك) هكذا زعم هذا القائل"[97]، ويشيرُ الدكتور عبد السلام حامد إلى لمحةٍ بلاغيَّةٍ لطيفةٍ في تعدُّد الخبر لفظاً ومعنىً إذْ يقول: "وفي هذا النوع يكون كل واحدٍ من الخبريْنِ أو الأخبار مختلفاً عن غيره في لفظه ومعناه، وعلامة صحة الاقتصار فيه على أي واحد من الخبريْنِ أو الأخبار، وأنَّه يجوز فيه العطف وعدمه"[98]، وهنا حملت الأخبار معاني تليق بصنيع السيِّديْن، والذي يبدو من الأخبار التي تعدَّدتْ في قول زهير: (على خير موطن) و(بعيدين) و(عظيمين) التجانسُ في المعنى المراد، فكلُّ الأخبارِ تشيرُ إلى علوِّ مكانةِ الرجليْنِ اللَّذيْنِ يمدحُهُما الشاعر، وبعيداً عن المعيارِ الذي وضعَهُ النحاةُ في جوازِ تعدُّدِ الخبر، فإنَّ صورةَ التماسكِ المعنويِّ التي تحملُ أغراضاً بلاغيَّةً تظهرُ في تعدُّدِ الخبرِ في مثلِ هذه المواضع، فكلُّ الأخبارِ مُسنَدةٌ إلى هذيْنِ الرجليْنِ، والدلالةُ هنا تسيرُ بشكلٍ مُكثَّفٍ إليهما لإنشاءِ المدحِ الذي يليقُ بصنيعِهما، ويتبيَّنُ أنَّ تعدُّدَ الخبرِ لونٌ أسلوبيٌّ يقتضيهِ المقامُ والسياق، فتعدُّدُ الخبر في قول الشاعر:

ومَن يـكُ ذا بـتٍّ فـهـذا بتِّـي ... مُـقيِّـظٌ مُـصيِّـفٌ مُـشتِّـي

فيه دلالةٌ إلى أنَّ كساءَهُ يصلحُ للصيفِ والشتاء، ومُرادُه: "إذا كان لأحدٍ مِن الناسِ كساء فإنَّ لي كساءً أكتفي به في زمان حمارةِ القيظ وزمان الصيف وزمان الشتاء، يعني أنَّه يكفيه الدهر كله"[99]، فهو يفخرُ بأنَّ كساءَهُ صالحٌ لهذه الفصول، وتعدُّدُ الخبرِ هنا استبدله الشاعر بالعطف الذي تقديره: (مقيظ ومصيف ومشتي)، وأمّا تعدُّد الخبر في قول الآخر:

ينـامُ بإحـدى مُقْلَتَيْـهِ، ويَتَّقِـي ... بأُخـرى المَنايـا؛ فهْـوَ يَقْظـانُ نائـمُ

فهو في سياق وصف حال الذئب، وأراد في ذلك أنَّ الذئبَ عند نومِه تكون هيئتُهُ بين اليقظةِ والنوم، فكلُّ مَنْ يراه في حالةِ نومِه يُخَيَّلُ إليه أنَّه يقظان، فأتى الخبر في هذه الصورةِ ليدلَّ على تلك الحالة.

والسؤال الذي يتبادرُ إلى الأذهان: هل هناك فرقٌ بين الأخبارِ المتعدِّدةِ التي لم تُعطف بالواو، وبين الخبرِ الذي عُطِفَ عليه بالواو؟

- **هذا بتِّي مقيظٌ مصيفٌ مشتي**
- **هذا بتِّي مقيظٌ ومصيِّفٌ ومشتي**

في التركيب الأول الذي خلا من العطف أُسنِدتْ الأخبارُ كلُّها (مقيظ مصيف مشتي) إلى المبتدأ، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الأخبارَ شيءٌ واحدٌ مِن جهةِ المعنى تعبِّرُ عن حالةٍ واحدة، فكأنَّ الفصولَ (مقيظ مصيف مشتي) متشابهةٌ وشيءٌ واحدٌ بالنسبةِ إلى كسائه (بتِّي)، وأمّا التركيبُ الآخرُ الذي جاء فيه العطف بالواو (مقيظ ومصيف ومشتي) فيبدو الاشتراك فيه بينَ الأسماءِ المُتعاطِفةِ من غيرِ الإشارةِ إلى المعنى السابق.

ويتَّضحُ الفرق بصورةٍ أوضح بين التركيبيْنِ في المثال الآتي:

- **هو يقظانُ نائم**
- **هو يقظانُ ونائم**

ولأنَّ الشاعرَ أرادَ أنْ يُعبِّرَ عن حالةٍ واحدةٍ بين اليقظةِ والنومِ جاء الخبرُ متعدِّداً (يقظان نائم) بلا عاطف، ولو عطَفَ بينهما (يقظان ونائم) لم يعبِّرْ عن تلك الحالةِ التي بين اليقظةِ والنوم.

وهذا التعدُّدُ يعطي الخبرَ عمقاً دلاليّاً مختلفاً عمّا سبق، وتجدرُ الإشارةُ هنا إلى ذكرِ الدلالةِ الزمنيَّةِ في تعدُّدِ الخبر ودلالة الحال، فقول الشاعر: (بتِّي مقيظ مصيف مشتي) صالحٌ لتلك الأزمنة، وقول الشاعر: (فهو يقظان نائم) إشارةٌ إلى دلالةِ الحالِ التي كان عليها في زمنٍ واحد، وأمّا تعدُّدُ الأخبارِ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾[100]، فقد جاءتْ في ذكرِ صفاتِ الله، عزَّ وجلَّ، ولذلك قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: " ذيل ذلك بصفة جامعة لعظمته الذاتية وعظمة نعمه بقوله: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾"[101]، وتكرَّرَ ذلك في قوله – تعالى –: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[102]، وقال

الألوسي: "تنزيه لله عمّا يشركون به سبحانه، أو عن إشراكهم به - عزَّ وجلَّ- إثر تعدادِ صفاتِهِ تعالى التي لا يمكن أنْ يشاركَ سبحانه في شيءٍ منها أصلاً "[103]، ولذلك تعدَّدت الأخبارُ في ذكرِ صفاتِ الله عزَّ وجلّ، وفي تعدُّد خبرِ (أصبح) عند شاعرنا (على خير موطن) و(عظيمين) و(بعيدين) يتبيَّنُ ذكرُ أوصافِ السيِّدَيْنِ اللَّذيْنِ مدحهُما.

وممّا سبقَ في دراسةِ أنماط الخبرِ في معلقة زهير بن أبي سُلمى دراسةً تركيبيةً دلاليَّةً يمكنُ تفصيلُ صُورِ الخبرِ التركيبيَّةِ والدلاليَّة على الجدولِ الآتي:

الخبر	نوع الخبر	مضمون الخبر	الدلالة التركيبية للخبر
ديار	مفرد	وصف المكان	الرمز إلى المكان للبوح والشوق والحنين
بها	شبه جملة	وصف المكان	الرمز إلى المكان للبوح والشوق والحنين
حب الفنا	مفرد (مضاف)	وصف أطلال الأحبة	ذكر الأطلال للبوح والشوق الحنين
كاليد في الفم	شبه جملة	وصف نساء الحي	ذكر النساء للبوح والشوق والحنين
فيهن	شبه جملة	وصف المكان	الرمز للمكان للبوح والشوق والحنين
تعدد الخبر	شبه جملة ومفرد	ذكر محاسن السيِّدَيْنِ (الحارث وهرم)	تعدد الخبر لمدحِ السيديْنِ
يحدى	جملة فعلية	ذكر أثرِ صنيعِ السيِّدَيْنِ	المدح بالإشارة إلى اقتداء الناس بهم
ينجمها	جملة فعلية	ذكر أثرِ صنيعِ السيِّدَيْنِ	المدح بالإشارةِ إلى اقتداء الناس بهم
ما	اسم موصول	ذكر أثرِ الحروب	النفي والاستثناء للإقناع والإيجاز
يدرك	جملة فعلية	وصف الأحداث	المدح بوصفِ الأحداث
طوى	جملة فعلية	وصف الأحداث	الذم بوصفِ الأحداث
أبداها	جملة فعلية	وصف الأحداث	الذم بوصفِ الأحداث

الخاتمة

وبعد تناولِ قصيدة زهيرِ بن أبي سلمى أُنموذجاً لدراسةِ أنماط الخبرِ في معلَّقته بالإمكانِ رصدُ أبرزِ النتائجِ التي جاءتْ على النحو الآتي:

1 – الإخبار بالاسم النكرة المتبوعِ بالنعوتِ يأتي لإيضاحِ ما قبله من الكلام، وزيادة تفصيل.

2 – مصطلح القطع والاستئناف عند الجرجاني في قوله: "مِن المواضعِ التي يطَّرِدُ فيها حذفُ المبتدأ القطعُ والاستئناف" لا يلغي وحدةَ الفكرةِ ووحدةَ العاطفةِ في الكلام.

3 – مضمونُ الخبرِ تحملُهُ متعلِّقاتُ الخبر، ويكتسبُ الخبرُ دلالةً إضافيَّةً مِن المتعلِّقاتِ في الجملةِ الاسميَّةِ الموسَّعة.

4 – الإخبارُ عن الأماكنِ والأطلالِ يكشفُ عمّا في الوجدانِ مِن مشاعرِ الشوقِ والحنين.

5 – تعدُّدُ الخبرِ جاء في سياقِ المدح، وقد ظهرَ التجانسُ في المعنى بينَ الأخبارِ التي تعدَّدَتْ كما أشارَ إلى ذلك النحاة.

6 – وقوعُ الجُملِ الفعليَّةِ التي فعلُها مضارعٌ أخباراً للفعل الناسخ (أصبح) التي بمعنى (صار) حملَ دلالةً زمنيَّةً مستمرَّةً مِن حصولِ الحدثِ واستمرارِهِ في الحاضرِ والمستقبل.

7 – وقوعُ الجملةِ الفعليَّةِ التي فعلُها ماضٍ خبراً للفعل الناسخ (كان) لم تأتِ مع (قد)، وهذا يُبطِلُ رأيَ أبي العبّاس ثعلب الذي يوجبُ تقدير (قد) مع الفعل الماضي عندما يأتي خبراً للفعل الناسخ (كان)؛ لخلُّوِها مِن (قد) في الشعرِ الجاهليِّ والقرآن الكريم.

8 – التركيبُ النحوي للمبتدأ والخبرِ المحصورِ في النفي والاستثناء يعدُّهُ البلاغيُّونَ طريقةً مِن طرقِ القصر، ويأتي أيضاً صورةً مِن صُورِ الإيجاز.

9 – تكرارُ النفي بين الجُملِ المتعاطِفةِ فيه ترابطٌ وثيقٌ بين الأخبار.

10 – يُمثِّلُ البحثُ دعوةً للباحثينَ لإعادةِ دراسةِ أبوابِ النحو العربيِّ وفقاً للجانبِ الدلاليِّ، والتطبيق على النصوص.

الهوامش والمراجع

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ج1، ط6، بيروت: دار التاريخ، ص47.

(2) الحمصي، د. محمد طاهر: **من نحو المباني إلى نحو المعاني**، ط1، دمشق: دار سعد الدين، 2003، ص91.

(3) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **المفصَّل في علم العربية**، شرح: محمد النعساني الحلبي، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2007، ص23-22.

(4) الباقولي، علي بن الحسين جامع العلوم: **شرح اللمع في النحو**، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: د.محمد خليل الحربي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007، ص114.

(5) السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال بن أبي بكر: **الأشباه والنظائر**، تحقيق: محمد الفاضلي، ج2، ط3، بيروت: المكتبة العصرية، 2006، ص57.

(6) ينظر: السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال بن أبي بكر: **همع الهوامع**، اعتنى به: أحمد عزو عناية، ج1، ط1، بيروت: دار إحياء التراث، 2010، ص228.

(7) ينظر: السكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: **مفتاح العلوم**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2011، ص252.

(8) ينظر: القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر: **الإيضاح في علوم البلاغة**، شرح: د. محمد عبد المنعم الخفاجي، ج1، ط3، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1993، ص69-70.

(9) الأشباه والنظائر، ج2، ص10.

(10) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: **دلائل الإعجاز**، تعليق: السيد محمد رشيد رضا، ط1، القاهرة: مكتبة دار ابن تيميَّة، 1990، ص149.

(11) مفتاح العلوم، ص254.

(12) مفتاح العلوم، ص255.

(13) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن القرشي: **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ط2، القاهرة: دار الطلائع، 2004، ص183.

(14) شرح ابن عقيل على الألفية، ج1، ص183.

(15) ينظر: مصلوح، د. سعد عبد العزيز: **في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية**، نحو أجرومية للنص الشعري، ط1، الكويت: جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، 2003.

(16) حماسة، د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة**، ط1، القاهرة: دار الشروق، 2000.

(17) حامد، د. عبدالسلام السيد، **الشكل والدلالة**، القاهرة: دار غريب، 2002.

(18) المزني، زهير بن أبي سلمى: **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرح: وتقديم علي حسن فاعور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988، ص103.

(19) الأنباري، محمد بن القاسم: **شرح القصائد السبع الطوال**، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، ط5، القاهرة: دار المعارف، 1992، ص239.

(20) ينظر: التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي: **شرح المعلَّقات العشر**، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط2، دمشق: دار الفكر، 2006، ص134.

(21) الزوزني، عبدالله الحسن: **شرح المعلقات السبع، تحقيق**: محمد عبد القادر الفاضلي، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2008، ص106.

(22) ينظر: د.عباس حسن: **النحو الوافي**، ج3، ط16، القاهرة: دار المعارف، ص509.

(23) شرح المعلَّقات العشر، ص134.

(24) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص103.

(25) الشكل والدلالة، ص228.

(26) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص104.

(27) السامرائي، د. فاضل صالح : **معاني النحو**، ج1، ط5، عمّان: دار الفكر، 2009، ص142.

(28) الدُّرَّة، محمد علي طه: **فتح الكبير المتعال إعراب المعلَّقات العشر الطّوال**، ج2، ط2، جدة: مكتبة السوادي للتوزيع، 1989، ص294.

(29) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص102، وجاءت في الرواية الأخرى التي نقلها الزوزني:

ودارٌ لها بالرقمتين كأنَّها مراجيعُ وَشْمٍ في نواشرِ مِعْصَمِ

(30) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص102.

(31) الحموي، ياقوت بن عبدالله: **معجم البلدان**، ج2، ج5، بيروت: دار صادر، 1977، (حومانة الدرّاج) ص325، و(المتثلَّم) ص53.

(32) ينظر: المرادي، الحسن بن قاسم: **الجنى الداني في حروف المعاني**، ط1، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، ص96.

(33) ينظر: شرح المعلقات العشر، ص134.

(34) شرح القصائد السبع الطوال، ص238.

(35) ثعلب، الإمام أحمد بن يحيى الشيباني: **شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى**، ط4، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، 2015، صفحة 5.

(36) ينظر: ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط8، بيروت: دار صادر، 2014، المجلد الخامس عشر، ص220، مادة (وشم).

(37) حسن، محمد ناجح محمد: الإبداع والتلقّي في الشعر الجاهلي، **أطروحة ماجستير**، إعداد: محمد ناجح محمد حسن، جامعة النجاح الوطنية، نابلس: 2004، ص134.

(38) الزبيدي، عمرو بن معدي كرب: **شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي**، جمع وتنسيق: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق: ط2، 1985، ص80.

(39) الأبيات منسوبة إلى بكر بن النطاح في دلائل الإعجاز، ص131، ووردت كلمة (أشرب) بدل كلمة (أطعم) في البيت الأخير في شعر بكر بن نطاح:

غَـضـبَـى ولا والله يـا أهلَها لا أشربُ الـبـارِدَ أو تَـرْضى

– ينظر: أبو وائل الحنفي، بكر بن النطاح: **شعر بكر بن نطاح، صنعة**: حاتم الضاعن، دار المعارف، بغداد: 1975، ص25.

(40) دلائل الإعجاز، ص126-131.

(41) دلائل الإعجاز، ص130.

(42) دلائل الإعجاز، ص130.

(43) ينظر: المالقي، أحمد بن عبد النور: **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص208.

(44) دلائل الإعجاز، ص126.

(45) دلائل الإعجاز 126، الكتاب 1/245، والأبيات بلا نسبة في دلائل الإعجاز، ونسبها عبد السلام هارون إلى عمر بن أبي ربيعة، وهي ليست في ديوانه.

(46) دلائل الإعجاز، ص126.

(47) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس: **ديوان الحماسة**، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2009، ص324، والبيتان بلا نسبة في دلائل الإعجاز، وهما من قصيدة منسوبة لابن العنقاء الفزاري في ديوان الحماسة برواية الجواليقي، ويُروى البيت:

غـلامٌ رمـاهُ الله بالحسنِ يافِعاً له سِيمِياءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ

(48) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص104.

(49) شرح المعلَّقات العشر، ص139.

(50) ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري، ص246.

(51) نحو أجرومية للنص الشعري، ص228.

(52) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص106.

(53) شرح المعلَّقات العشر، ص144.

(54) شرح المعلقات العشر، ص144.

(55) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص106.

(56) فتح الكبير المتعال، ج2، ص308.

(57) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص107-110.

(58) ينظر: فتح الكبير المتعال، ج2، ص322.

(59) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص108.

(60) شرح المعلقات العشر، ص151.

(61) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص108.

(62) ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تعليق: أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي، ج1، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001، ص211.

(63) سورة القيامة، الآية 31.

(64) القرطبي، محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**، تعليق: د. محمد إبراهيم الحفناوي، ج29، القاهرة: دار الحديث، القاهرة، 2002، ص96-97.

(65) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: د. السيد محمد السيد، د. وجيه محمد أحمد، مصطفى فتحي، سيد إبراهيم، ج8، القاهرة: دار الحديث، 2002، ص255.

(66) ينظر: بن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، ج29، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984، ص 362-363.

(67) سورة القيامة، الآية 36.

(68) الشوكاني، الإمام محمد علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج29، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1999، ص413.

(69) سورة يس، الآية 40.

(70) الألوسي البغدادي، شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج23، تحقيق: د. السيد محمد السيد، وسيد إبراهيم عمران، القاهرة: دار الحديث، 2005، ص28.

(71) ينظر: مغني اللبيب، ج1، ص240.

(72) سورة الإخلاص، الآية 3.

(73) سورة الصافات، الآية 152-151.

(74) الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين: **التفسير الكبير**، تحقيق: مكتب دار إحياء التراث العربي، ج2، ط4، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001، ص364.

(75) سورة مريم، الآية20.

(76) معاني النحو، ص168.

(77) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص107.

(78) ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، القاهرة: دار الطلائع، 2009، ص134.

(79) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب أرناؤوط، وعادل المرشد، ج4، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995، ص260.

(80) شرح المعلقات العشر، ص147.

(81) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص108.

(82) شرح المعلقات العشر، ص152.

(83) سورة القمر، الآية 14.

(84) التحرير والتنوير، ج27، ص185.

(85) فتح الكبير المتعال، ص327.

(86) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص105.

(87) شرح المعلَّقات العشر، ص139.

(88) الشكل والدلالة، ص259.

(89) الشكل والدلالة، ص251.

(90) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص106.

(91) فتح الكبير المتعال، ج2، ص303.

(92) فتح الكبير المتعال، ج2، ص304.

(93) فتح الكبير المتعال، ج2، ص304.

(94) سورة البروج، الآيات 14-16.

(95) البيت منسوب إلى رؤبة بن العجاج في شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ج1، ص231، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب التي لم يعرف لها قائل، ج2، ص59.

(96) الهلالي، حميد بن ثور: **ديوان حميد بن ثور الهلالي**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1951، ص5، ويُروى البيت:

ينـام بـإحـدى مُقلتَيْهِ ويَتَّقي بأخرى الأعادي فهو يقظانُ هاجِعُ

(97) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1. ص231 - 233.

(98) الشكل والدلالة، ص252.

(99) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، ص232.

(100) سورة البروج، الآيات14-16.

(101) التحرير والتنوير، ج30، ص250.

(102) سورة الحشر، الآية23.

(103) روح المعاني، ج28، ص345.

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

- بحوث باللغة العربية
- بحوث باللغة الإنجليزية
- مناقشات وندوات
- عروض الكتب الجديدة

مجلس النشر العلمي

رئيسة التحرير

أ.د. نسيمة باشد الغيث

ص.ب: 26585 الصفاة 13126 الكويت- هاتف: 24817689(965)- 24815453(965) فاكس: 24812514 (965)

P.O. Box 26585 Safat,13126 Kuwait - Tel.:(965) 24817689 - (965) 24815453 - Fax: (965) 24812514

Email: ajh@ku.edu.kw - http:// www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajh